

العراق.. دعوة ملتبسة وأهداف مشبوهة

غر استعراضى بمواكبه الشخصية وطائراته الفريدة في نوعها. كما أن المراقبين في جهات العالم الأربع يصفونه بأنه يعجز عن بناء جملة مفيدة في أمر الدين أو شؤون الحياة وهو لا يفقه في أمور السياسة شيئاً إلا ما يُملّيه الإيرانيون عليه. وتدور حوله وتياره شبهات لا حصر لها من جرائم الإبادات الجماعية من العمليات الإرهابية.

إذا كان في تلك الأوصاف أي تحامل فهو يحسب على الواصفين، ونحن لسنا منهم، ولكننا نؤكد انطلاقاً من قراءتنا للمشهد العراقي، أكتوبر العام الماضي والمستمر إلى اليوم، أفقدت السيد مقتدى الصدر الكثير من وزنه وجعلته مكتسفاً، وإطلاق دعوة من طهران أكدت أنه ليس أكثر من أداة يحركها الولي الفقيه في الاتجاهات التي تخدم مصلحة إيران، وأن التظاهرة المليونية الاستعراضية ليست، في حقيقتها، أكثر من محاولة لشق وحدة الحراك الوطني العراقي.

انتهت الهيئة العليا العراقية لعشائر بغداد والفرات الأوسط والجنوب، وهي تجمع عشائري داعم لانقضاة العراقيين، إلى غرض دعوة الصدر، أصدرت بياناً رفضت فيه هذه الدعوة، محملة مقتدى الصدر "المسؤولية القانونية والعشائرية عن احتكاك بين الشعب وذبول إيران"، حسب وصف البيان، الذي قال "في الوقت، الذي يمر فيه البلد بظروف صعبة جداً وحرارة للغاية وخوفاً من أن ينحدر العراق إلى منزلق الحرب الأهلية (لا سمح الله)، نرفض الدعوة منك إلى تظاهرة مليونية لأنها تظاهرة ميليشياوية ضد الأميركيين نيابة عن النظام الإيراني، وحرصاً منا على دفع الشر والاحتكاك في ساحات التظاهر، عليكم، قبل الخروج، تحديد أماكن بعيدة جداً عن ساحات الانتفاضة، وبخلاف هذا، تتحملون المسؤولية القانونية والعشائرية كافة".

د. باهرة الشيلخي
كاتبة عراقية

من أهم ما أفرزته انتفاضة العراقيين، انتفاضة 1 - 25 أكتوبر من العام الماضي، أنها فرقت بين معسكرين، هما ما يمكن تسميتهما معسكر الشعب ومعسكر الحكومة. ومعسكر الشعب يضم كل المتضررين من العملية السياسية وهم كثرة، فيما يضم المعسكر الآخر كل المنتفعين من تلك العملية وهم قلة، ويتفق جميع من في معسكر الشعب على أن أخطر من في معسكر الحكومة هو السيد مقتدى الصدر، فهو، منذ البداية، له رجل في معسكر الحكومة والرجل الأخرى في معسكر الشعب. يعتبر القيادي السابق في حزب الدعوة ضياء الشكرجي مقتدى الصدر الضد النوعي لثورة 1 - 25 أكتوبر، ويقول إن مقتدى "يتحالف مجدداً مع الأعداء الألداء لثورة تشرين الأول، المواليين لولاية الفقيه المعادية لتطلعات الشعب العراقي، ليدعو من جمهوريتهم الإسلامية واية أمرهم، وبالتحديد من قم، إلى مليونية ضد الوجود الأجنبي، لاسيما الأميركي، ليس انتصاراً للسيادة الوطنية المقبول انتهاكها من القوى المجتمعة في قم، بل لجعل العراق خالصاً للاحتلال الإيراني، فينفرد نفوذ دولة الاحتلال المضطهدة لشعبها المنتفض ضدها، والمعيقة لبناء دولتنا العراقية المستقلة الحديثة الديمقراطية الاتحادية العلمانية، لأن انتهاك سيادة العراق من دولة الولي الفقيه يُعدّ عندهم واجباً شرعياً، بينما الوجود الأميركي، حتى لو يطلب من الحكومة العراقية أو من جماهير واسعة من الشعب العراقي من أكبر الحرمات".

واصفاً تحالف مقتدى مع القوى المضادة لثورة الشعب بأنه بشائر حسم إعلان الطلاق رسمياً مع قوى الشعب لزيجة لم يسدها الانسجام، وكانت مفروضة من جانب واحد، ومقبولة عن مريض، اضطراراً، من الجانب الآخر.

وحسناً فعلت الجماهير المحتجة في الناصرية، عندما رحبت بإعلان هذا الطلاق المبارك والمأمول من الكثيرين منذ وقت طويل، إذ هفتت "لا مقتدى ولا هادي، حرة تبقى بلادنا". إن ما يشغل الشارع العراقي، هذه الأيام هي الدعوة التي أطلقها مقتدى الصدر من طهران، إلى تظاهرة يوم الجمعة المقبل، شعاراتها الأساس تركز على المطالبة بخروج القوات الأميركية من العراق، يتخوف الكثيرون من أنها صُممت لتخريب تظاهرة الشعب المستمرة، منذ أكثر من 100 يوم، والشعار الذي طرحه تظاهرة مقتدى لا يختلف عليه أحد، وقد أكدته انتفاضة العراقيين، كما أكدت على أن يكون العراق بمنأى عن الخلافات الأميركية - الإيرانية، وأن لا تتحول البلاد إلى ميدان للصراع بينهما، وقد كانت أصوات المنتفضين، وما زالت، عالية وهي ترد في جميع ساحات الانتفاضة في بغداد والمدن العراقية الأخرى "لا أميركا ولا إيران". لكن ما يحدث الآن في العراق، منذ أن أطلق مقتدى الصدر دعوته الملتبسة، بسبب وجوده في إيران أولاً، وفي توقيتها ثانية، أن الإعداد لهذه التظاهرة، يقوم به ويدعم الدعوة إليها مادياً وإعلامياً، رموز ميليشيات السلطة في العراق. وقد بدأت هذه الميليشيات بدعوة كل من يستجيب إلى ما تدعو إليه، للمشاركة في هذه التظاهرة، حتى أن التابعين لمقتدى الصدر أصبحوا في الظل ويتفاجأون كل يوم بما تعده الميليشيات وبإسناد من النظام، من خطط تهدف إلى مواجهة انتفاضة التحرير والعمل على إضعافها، بإجراءات إجرامية، مع أننا نعرف جميعاً أن الميليشيات حاولت ذلك منذ انطلاقة الانتفاضة وفشلت في ذلك، برغم ما اقترفته من جرائم القتل والاختطاف والاعتقال والتفجير والتعذيب.

إن الكثيرين، ومنهم المرجع الشيعي السيد حسن الموسوي، يصفون مقتدى الصدر بأنه "عاش وأثرى على سمعة عائلته وأبيه، صبي ذلك.



مجزة مأرب

صنعاء. بعد استفاد الغرض من تلك التفاهات أعدموه بدم بارد في كانون الأول - ديسمبر 2017 مؤكداً أن لا شريك لهم في صنعاء التي تعاني يوماً من ظلمهم.

ثمة درس آخر يمكن استخلاصه من مجزة مسجد مأرب، فحوى هذا الدرس أن هناك حاجة إلى هزيمة عسكرية تلحق بالحوثيين. من دون هذه الهزيمة لا أمل في التوصل إلى أي تفاهم معهم. الأكد أن "الشرعية" غير قادرة على إلحاق هزيمة بـ"انصار الله". معروف من طرد هؤلاء من عدن، ومن أخرجهم من ميناء المخا على البحر الأحمر، ومن هدد وجودهم في الحديدة، قبل أن يهب المبعوث الأممي مارتن غريفيث لتجديدهم لأسباب يمكن أن تكون مرتبطة بمصالح بريطانيا في ميناء الحديدة المطل على البحر الأحمر!

مع مرور الوقت صار الوضع اليمني منسباً. لم يعد هناك من يذكر بما يعاني منه اليمنيون من جوع ومرض. صار طبيعياً أن يموت أطفال اليمن بالآلاف من دون أن يتحدث أحد عن ذلك لا في الإعلام العربي ولا في الإعلام الدولي. ما صار أكثر من طبيعي أن تتصرف "الشرعية" وكأن كل شيء على ما يرام، إذ يكفي أن يكون رئيس الوزراء، معين عبد الملك سعيد، في عدن كي يقال إن عاصمة الجنوب استعادت وضعتها الطبيعى، وإن دوائر الدولة تعمل بانتظام.

مؤسف أن يصبح اليمن منسباً وأن لا يعود إلى واجهة الأحداث إلا بعد قتل الحوثيين بواسطة صاروخ باليستي هذا العدد الكبير من المجندين في مأرب. ما هو مؤسف أكثر أن لا يكون هناك أي تفكير في أن الموت البطيء لبلد بكامله لم يعد يهّم أحد، علماً أن الحؤول دون ذلك لا يحتاج إلى أكثر من قرار جريء. يبدأ اتخاذ القرار الجريء بالاعتراف بأن هناك مسألة حقيقية في بلد ذي أهمية إستراتيجية كبيرة للمنطقة كلها، خصوصاً لشبه الجزيرة العربية، وأن لا مجال لمعالجة هذه المسألة في ظل "الشرعية" القائمة التي لا تمت إلى الشرعية الحقيقية بأي صلة من أي نوع! من دون هذا القرار الجريء ستكون هناك مجازر أخرى في المستقبل من نوع مجزة مأرب... كلما دعت الحاجة الإيرانية إلى ذلك.

مؤسف أن يصبح اليمن منسباً وأن لا يعود إلى واجهة الأحداث إلا بعد قتل الحوثيين بواسطة صاروخ باليستي هذا العدد الكبير من المجندين في مأرب

في هذا الاتفاق الذي أدى إلى تهدئة الوضع في عدن أن يشكل منطلقاً للبحث في كيفية مواجهة الحوثيين الذين بعثوا بإشارات يفهم منها أنهم راغبون في التوصل إلى صفقة مع التحالف العربي في شأن اليمن. تبين ليسوا سوى أداة إيرانية تحركها طهران وفق رغباتها. ليس صفقة توجبه ضربة إلى مسجد في مأرب في هذه الأيام بالذات. أرادت إيران التذكير بأنه لا تزال لديها ورقة البمنية، وأن تصفية الأميركيين لقاسم سليمانى، قائد "فيلق القدس" في "الحرس الثوري"، الذي كانت اليمن من ضمن مسؤولياته، لن يؤثر على نفوذ إيران خارج حدودها. وحدها الأيام ستحدد هل هذا صحيح أم لا. الثابت الآن أن "الجمهورية الإسلامية" ما زالت قادرة على استخدام الحوثيين لتحقيق أهداف معينة، بما في ذلك رفع معنويات الذين راهنوا عليها في اليمن.

إذا كان من درس يمكن استخلاصه من مجزة مأرب، فهذا الدرس يتمثل أولاً في أن لا مجال للثقة بالحوثيين. هؤلاء يمكن أن يقدموا كل الضمانات المطلوبة منهم وأن يتوصلوا إلى اتفاقات واضحة مع الذين يسعون إلى كف شرورهم عنهم. في نهاية المطاف، من يمتلك القرار الحوئي هو طرف غير يمني. هذا الطرف هو إيران، من يريد أن يتذكر الاتفاقات التي توصل إليها الحوثيون مع خصومهم وكيف أن هذه الاتفاقات إما بقيت حبرا على ورق أو مجرد كلام ليل يمحوه النهار؟ الكلام هنا عن اتفاق السلم والشراكة الذي وقعه الحوثيون مع عبديته منصور هادي بعيد استيلائهم على صنعاء في الواحد والعشرين من أيلول - سبتمبر 2014. لم تنض أيام على الاتفاق حتى كان الرئيس اليمني الانتقالي في الإقامة الجبرية في صنعاء. ما ينطبق على عبديته ينطبق أيضاً على الرئيس السابق علي عبدالله صالح الذي خاض حروباً عدة مع الحوثيين ابتداءً من 2004. أصّر هؤلاء على الانتقام منه على الرغم من كل التفاهات التي توصلوا إليها معه في

خير الله خير الله
إعلامي لبناني

يمكن النظر إلى المجزة التي وقعت في مأرب قبل أيام من زاويتين مختلفتين. هناك أولاً زاوية قدرة الحوثيين (انصار الله) على توجيه ضربات مؤلمة إلى "الشرعية" البمنية، ما يعنيه ذلك من امتلاك تلك الميليشيا المدعومة من إيران لقدرات عسكرية كبيرة، أما الزاوية الأخرى فهي تلك المتعلقة بوضع "الشرعية" البمنية والحاجة إلى إعادة تشكيلها اليوم قبل غد. لا يمكن لـ"شرعية" يمنية برئاسة عبديته منصور هادي مواجهة الحوثيين والوقوف في مشروعهم والحد من طموحاتهم.

قصف الحوثيون مسجداً في مأرب. قتلوا نحو 120 عسكرياً يمينياً دفعة واحدة. كانوا في غاية الدقة في اختيار هدفهم وهو مسجد تجمّع فيه مجندون من عدن وأبين يتلقون تدريبات في مأرب، لماذا في مأرب وليس في أي مكان آخر؟ الجواب بكل بساطة أن محافظة مأرب صارت معقلاً من معاقلة الإخوان المسلمين في اليمن. يجري تدريب مجندين من المحافظات الجنوبية التي اخترقها حزب التجمع اليمني للإصلاح الذي يتحرك الإخوان المسلمون تحت غطاءه في مأرب، إحدى المحافظات الشمالية.

أظهر الحوثيون أنهم لا يمتلكون أسلحة فتاكة قادرة على إلحاق خسائر فادحة بخصومهم فحسب، بل أنهم يمتلكون أيضاً شبكة استخباراتية توفر لهم معلومات دقيقة عن مواقع محددة لخصومهم، أكان ذلك في شمال اليمن أو في جنوبه. فقد سبق للحوثيين أن استخدموا طائرات من دون طيار لقصف مواقع محددة في جنوب اليمن.

ليس سراً أنه لم يتحقق أي تقدم في مجال البحث عن حل سياسي في اليمن. لم يستطع ممثل الأمين العام للأمم المتحدة، مارتن غريفيث، تحقيق اختراق على أي صعيد على الرغم من زيارته المتكررة لصنعاء ولقاءاته غير المباشرة مع زعيم "انصار الله" عبد الملك الحوئي. استفاد الحوثيون من تحركات غريفيث الذي يبدو مرتاحاً إلى استمرار الجمود إلى ما لا نهاية وذلك منذ توقيع اتفاق ستوكهولم أواخر العام 2018. مهّد ذلك الاتفاق، الذي خدم الحوثيين إلى حد كبير، لبقاء الوضع على حاله على جبهة الحديدة، في وقت انشغلت الجهات الإقليمية المهتمة بالموضوع اليمني باحتواء الوضع في عدن حيث حصلت صدامات بين "الشرعية" والمجلس الانتقالي.

لم تتوقف هذه الصدامات إلا بعد توقيع اتفاق بين الجانبين في الرياض يوم الخامس من تشرين الثاني - نوفمبر 2019. كان مُفترضاً

